النبي الخاتم ﷺ
وتأسيسه الحضارة الإسلامية

تأليف

الدكتور/ محمود إمبابي أمين

وكيل الأزهر الشريف الأسبق

تقديم

أ.د/ إبراهيم الهدهد

عضو مجمع البحوث الإسلامية - رئيس جامعة الأزهر سابقًا

هدية هيئة كبار العلماء - عدد صفر ١٤٤١ هـ

الأزهر

مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١م

رئيس التحرير
أ.د محمود حمدي زقزوق

مجلس التحرير
أ.د إبراهيم الهدهد أ.د عبد الفتاح العواري أ.د عبد المنعم فؤاد

مدير التحرير
أ. محمود الفشني

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ الدكتور/ محمود إمبابي
من أعلام الأزهر الشريف

في محافظة سوهاج مركز البلينا قرية البورة ولد الشيخ الدكتور محمود إمبابي أمين قناوي عام ١٩٣٨م وأتم حفظ القرآن الكريم بكتاب القرية، والتحق بالأزهر الشريف، ونال تعليمه كاملًا فيه، ثم التحق بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر بالقاهرة.

شهاداته العلمية: حصل على الإجازة العالية في الشريعة، ثم حصل على شهادة التخصص (الماجستير) ثم حصل على درجة العالمية (الدكتوراة) في الفقه الحنفي.

الوظائف التي تولاها: تدرج في وظائف تعليمية وإدارية في الأزهر الشريف حيث عمل مدرسًا للعلوم الشرعية بمعهد جرجا الثانوي، ثم رقي درجة المدرس الأول للعلوم الشرعية في المعهد ذاته، ثم ارتقى درجة وكيل المعهد ذاته، ثم ارتقى وظيفة شيخ المعهد

الإعدادي والثانوي والمعلمين بالبلينا بمحافظة سوهاج، ثم ارتقى وظيفة الموجه الأول للعلوم الشرعية بمنطقة سوهاج الأزهرية.

ثم انتقل إلى قطاع المعاهد الأزهرية فرقي وظائف عدة، فارتقى وظيفة مدير معاهد المعلمين بقطاع المعاهد الأزهرية، ثم مستشارًا بدرجة (أ) للعلوم الشرعية بقطاع المعاهد الأزهرية، ثم مدير المناهج بقطاع المعاهد الأزهرية.

ثم خرج من دائرة قطاع المعاهد ليعمل مديرًا عامًّا للمنطقة الأزهرية بالبحر الأحمر ، ثم مديرًا عامًّا للمنطقة الأزهرية بالوادي الجديد ، ثم مديرًا عامًّا للمنطقة الأزهرية ببني سويف، ثم رئيسًا للإدارة المركزية لمنطقة قنا الأزهرية، ثم رئيسًا للإدارة المركزية لمنطقة سوهاج الأزهرية ، ثم وكيلًا لقطاع المعاهد الأزهرية، ثم رئيسًا لقطاع المعاهد الأزهرية،ثم عين وكيلًا للأزهر الشريف، وصدر القرار الجمهوري بمد خدمة فضيلته عامًا بقرار رئيس الجمهورية رقم ١٩٠ لسنة ٢٠٠٣م بتاريخ ٢٠٠٣/٧/٢٤م وعُيِّن عضوا بمجمع البحوث

الإسلامية حتى أحيل إلى التقاعد، ولحبه الأزهر الشريف أنشأ مجمع الشيخ محمود إمبابي الإعدادي الثانوي بقرية البورة.

والشيخ الدكتور/ محمود إمبابي يصدع بالحق في كثير من المحافل واللقاءات، وقد سئل ذات مرة عن سبب أزمة الخطاب الديني فبين أن مرد ذلك يرجع لظهور أدعياء معرفة الدين الصحيح، وأن الباب الوحيد للخروج من هذه الأزمة هو عودة الأزهر وعلمائه العاملين فيه أو في وزارة الأوقاف إلى الواجهة، وقيامهم بالدور الريادي، وبين أنه لابد من إصدار قوانين لتنظيم الخطاب الديني إسلاميًّا كان أم مسيحيًّا، كما بين أن التيارات السلفية التي تدعي أنها امتداد للسلف تسعى إلى إنشاء هامات وقامات متشددة مما يجعل الأرض خصبة لخطاب متشدد ينتهي من التشدد إلى التكفير، كما بين أنه لايجوز صعود منابر المساجد إلا للتحدث عن الشريعة الإسلامية وأحكامها، وصيانة هيبة المنبر عن الأمور الأخرى.

وقد أسهم الشيخ الدكتور-حفظه الله- محمود إمبابي

إســهامات جيدة في لجنــة البحوث الفقهيــة بالمجمع، التي تتصدى لكثير من المشــكلات والقضايا العصرية، ولــه حضور بيــن فيها، ونــادرًا ما يتغيــب عن حضور اللجنة فهو مع تقدم ســنه له عقل حاضر ونقاش فعال في القضايا المعروضة على اللجنة.

ومن إسهاماته في إبراز ما للإسلام من مكانة مرموقة كتابه: «هذه حضارة الإســلام» وقد اقتبسنا من فصوله الثانــي والثالث وجعلناهما هدية مختارة للقارئ الكريم لينتفع بها، وبمحتواها.

فــي أول الفصلين تحدث الشــيخ المؤلــف عن النبيﷺ فذكر ما سمح به القلم وجادت به القريحة عن حياتهﷺ وما يتعلق بها، وفي الآخر تكلم عن أســس الحضارة الإســلامية ومــا يتعلق بالحضارة الحقيقية، نســأل اللــه أن ينفع بهذا الاقتباس كما نفع بأصله، والحمد لله رب العالمين.

كتبه

أ.د/ إبراهيم صلاح الهدهد

عضو مجمع البحوث الإسلامية

رئيس جامعة الأزهر - سابقًا

الفصل الأول

النبي الخاتم ﷺ
وتأسيس الحضارة الإسلامية

المبحث الأول

نبذة عن حياة المصطفى ﷺ

فـي الثاني عشـر من شـهر ربيـع الأول عـام (٥٧٠ م) المعـروف بعـام الفيل أشـرقت شـمس مكة بـولادة النور والهدى ليعم إشعاعها كافة أرجاء المعمورة.

ومـن أكرم بيت مـن بيوت العرب وُلد رسـول البشـرية وخاتـم الأنبياء من الأصلاب الشـامخة والأرحـام المطهرة ليحظى بولادته أبوان كريمان هما: عبد الله بن عبد المطلب وآمنة بنت وهب.

ولم يتسن لهذا المولود الكريم أن ينعم بالرعاية والحنان الأبوي حيث توفي والده وهو جنين في بطن أمه وقيل: بعد ولادته بشهرين.

وقد تشرفت بإرضاعه «حليمة السعدية» حيث أمضى في بادية (بني سـعد) زهاء خمسة أعوام، وفي السنة السادسة من عمره الشـريف توفيت والدته فأولاه جده «عبد المطلب» كامل الرعاية، وكان يقول: «إن لابني هذا لشـأنًا» لما توسم فيه من البركات التي رافقته منذ ولادته، وفي السـنة الثامنة من عمره الشريف توفي جده عبد المطلب فانتقل إلى كفالة عمه أبي طالب بنـاء على وصية جده، فكان أبو طالب خير كفيل له في صغره وخير ناصر له في دعوته.

لم يبلغ محمد ﷺ سن الشباب حتى اشتهر بين الناس بالصدق والاستقامة وكرم الأخلاق فلُقّب بـ «الصادق الأمين» وتميز بالوعي والحكمة.

نبذ النبي محمد ﷺ كل مظاهر الحياة الجاهلية وكان يتردد إلى غار حراء يتعبد فيه، وفي الأربعين من عمره المبارك هبط عليه جبريل -عليه السلام- في غار حراء بالوحي:

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق: ١)

وبذلك ابتدأ الدعوة الإلهية إلى الناس كافة؛ لتخرجهم من الظلمات إلى النور، وكانت زوجته خديجة أول من صدق به من النساء.

وكان أول من آمن بالدعوة من الرجال أبو بكر الصديق، ومن الصبيان علي بن أبي طالب، وتحمل النبي مسئولية الدعوة والتبليغ فاستجاب له حوالي (٤٠) شخصًا.

وخلال السنوات الثلاث الأول المعروفة بالمرحلة السرية للدعوة عمل فيها على بناء النواة الأولى للدعوة وتركيز الدعائم لها، وبعد ذلك دعا عشيرته الأقربين.

ثم جهر النبي ﷺ بالدعوة العلنية على الملأ أجمعين، يدعوهم إلى الإقرار بالشهادتين ونبذ الأصنام والشرك.

استقبل زعماء قريش الدعوة إلى التوحيد بالاضطهاد والتنكيل بأصحابها.

ممـا دفـع النبـي ﷺ إلـى اتخـاذ إجـراء وقائـي فأمر المسـلمين بالهجرة إلى الحبشة، وازداد أذى قريش فعمدوا إلى مقاطعة بني هاشم في البيع والشراء والزواج.

ودام الحصـار الاقتصـادي في شـعب أبـي طالب ثلاث سـنوات، ولم تثن هذه المقاطعة من عزيمة المسـلمين رغم المحنـة الفادحة التـي أصابتهم بوفاة أبـي طالب ـ حامي الرسول ـ وخديجة أم المؤمنين (في عام الحزن) وبوفاتهما فقد النبي ﷺ سندي الرسالة في مكة.

فانتقل إلى الطائف في السـنة الحادية عشرة (١١) من البعثـة ليعرض عليهم الديـن الجديد، فـردوا عليه بغلظة، ورموه بالحجارة، فرجع إلى مكة غير يائس من رحمة ربه.

مبايعة الرسول ﷺ:

وكان الله عند حسـن ظنه، إذ لقيت الدعوة في مواسم الحج استجابة من بعض الوفود القادمة من يثرب الذين التقـوا بالنبي سـرًّا وبايعـوه على السـمع والطاعة فيما عرف ببيعة العقبة الأولى التي حصلت في السـنة الثانية عشرة للبعثة، وبيعة العقبة الثانية التي حصلت في العام التالي.

فبدأت الدعوة مرحلة الانفراجات، وانحسـر عنها ضغط قريش واضطهادها، ووجدت لها متنفسًا في المدينة.

الهجرة إلى المدينة:

إزاء هذا الأمر الخطير اجتمع زعماء قريش وقرروا اغتيال النبي ﷺ في محاولة منهم لخنق الدعوة قبل أن ينتشر أمرها في البلاد، وفي هذه الحالة المصيرية اقتضت حكمة الله -سبحانه- أن يبيت عليٌّ في فراش النبي دفاعًا عن الرسالة الإلهية، وبهذه المناسبة نزل قوله -تعالى-:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة: ٢٠٧)

ولم ينتبه المشركون إلى حقيقة الموقف إلا وقد غادر النبي محمد ﷺ مكة:

﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ (الأنفال: ٣٠)

النبي ﷺ في المدينة:

في منتصف شهر ربيع الأول دخل رسول الله ﷺ إلى المدينة، وهناك عمل على ترسيخ الوجود الإسلامي تمهيدًا لمرحلة المواجهة والجهاد ضد جميع قوى الكفر والإلحاد المتمثلة بالمشركين واليهود والمنافقين.

وقام بعدة إجراءات أهمها:

١- بناء المسجد الذي يشكل الدعامة الأولى للدولة الإسلامية.

٢- المؤاخاة بين المسلمين وتوثيق عرى التعاون بينهم.

٣- إبرام المعاهدات مع بعض القوى الفاعلة في المدينة وحولها.

٤- إرسـال المبعوثين إلى خارج الجزيرة العربية للدعوة إلى الدين.

٥- إعداد النواة الأولى للجيش الإسلامي.

وتم بذلك إقامة مجتمع إسلامي متماسك مثل فيه الرسول دور القائد والمشرف والمدير، وتحول بذلك من موقع الدفاع إلى موقع الهجوم.

أهم الغزوات والحروب:

بلغت الغزوات التي اشـترك فيها النبي ﷺ حوالى (٢٧) غـزوة، وكان الهدف منهـا إزالة العوائق التي تعرقل سـير الدعوة إلى الله.

ففي السنة الثانية للهجرة وقعت معركة بدر التي انتصر فيها المسلمون انتصارًا ساحقًا؛ حيث قتل في هذه المعركة رءوس الشـرك والضـلال، فدخـل المسـلمون بذلك مرحلة جديدة من الصراع مع المشركين.

وفي السنة الثالثة للهجرة حصلت معركة أُحد التي ابتلى الله بها المؤمنين حيث فاتهم النصر.

وفي السـنة الخامسـة حصلت معركة الأحزاب المعروفة بوقعة الخندق، فحقق المسـلمون نصـرًا عزيزًا على قريش

ومن معها من القبائل العربية.

وفي السنة السادسة للهجرة عقد النبي ﷺ مع قريش صلح الحديبية بهدف إزاحتها من طريقه، ففسح له المجال لنشر الدعوة في مختلف أنحاء الجزيرة العربية حتى قويت شوكة المسلمين، وانتصروا على اليهود في غزوة خيبر.

فتح مكة:

ولم يُكتب لصلح الحديبية أن يصمد بعد أن نقضته قريش فتوجه النبي ﷺ بجيش بلغ تعداده عشرة آلاف (١٠٠٠٠) مقاتل إلى مكة، ودخلها فاتحًا من دون إراقة دماء تُذكر، وذلك في السنة الثامنة للهجرة.

حجة الوداع:

في السنة التاسعة للهجرة انشغل النبي ﷺ بحرب الروم، وانتصر عليهم في معركة تبوك، وفي السنة العاشرة للهجرة وبعد أداء مناسك الحج وقف النبي ﷺ في غدير خم مستجيبًا لنداء الوحي:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾

(المائدة: ٦٧)

معلنًا على الملأ إكمال الدين وإتمام النعمة، وبهذه المناسبة نزل قوله -تعالى-:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1]

(المائدة: ٣)

وفاة النبي ﷺ:

وفي السنة الحادية عشرة للهجرة، فُجِع المسلمون بوفاة النبي ﷺ إثر مرض شديد ألم به، ففاضت روحه الطاهرة.

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره: ٢٨/٣ والأصح أنها نزلت في يوم عرفة من حجة الوداع. (المجلة).

المبحث الثاني
من أخلاقه ﷺ

عن عائشــة (رضي الله عنها) قالت: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْــنَ أَمْرَيْــنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَــرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُــنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثمًا كَانَ أَبْعَدَ مَا يَكُونُ عَنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُــولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ فَيَنْتَقِمُ لِلهِ بِهَا»[٢].

وعن عائشة أيضًا قالت: « مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَــبِيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَــيْءٌ قَــطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِــهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ»[٣].

وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) - خادم رســول الله ﷺ - قال: «كَانَ رَسُــولُ اللهِ ﷺ مِنْ أَحْسَــنِ النَّاسِ خُلُقًا»، فَأَرْسَــلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَــا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، فَخَرَجْــتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَــانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّــوقِ، فَإِذَا رَسُــولُ اللهِ ﷺ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ -مِنْ وَرَائِي- قَــالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَــالَ: «يَا أُنَيْــسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟» قَــالَ قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ، يَا رَسُولَ اللهِ!»[٤].

---

(٢) رواه البخاري عن عائشة برقم: ٦٤٠٤.

(٣) رواه مسلم عن عائشة حديث رقم ٢٣٢٨. (المجلة).

(٤) صحيح مسلم، من أنس بن مالك برقم: ٥٤ (٢٣١٠).

قال أنس (رضي الله عنه): «وَاللهِ لَقَدْ خَدَمْتُهُ تِسْعَ سِنِينَ، مَا عَلِمْتُهُ قَالَ لِشَـيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَ كَـذَا وَكَذَا؟ وَلَا عَابَ عَلَيَّ شَيْئًا قَطُّ، وَاللهِ مَا قَالَ لِي أُفٍّ قَطُّ»[٥].

قلـت: فكم من مرة قلنا لوالدينا أف: أما رسـول الله ﷺ فما قال لخادمه أف قط!!

وعن أبي هالة، عن الحسـن بن علي قـال: «إن النبي -عليه الصلاة والسلام- كان خافض الطرف ـ من الخفض ضد الرفع ـ فـكان إذا نظر لم ينظر إلى شـيء يخفـض بصره؛ لأن هذا من شـأن من يكون دائم الفكرة لاشتغال قلبه بربه، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، وكان جل نظره الملاحظة «المـراد أنـه لم يكـن نظره إلى الأشـياء كنظر أهـل الحرص والشره، بل بقدر الحاجة» يسوق أصحابه أمامه ـ أي يقدمهم أمامـه، ويمشـي خلفهم تواضعًا أو إشـارة إلى أنـه كالمربي فينظر في أحوالهم وهيئتهم أو رعاية للضعفاء وإغاثة للفقراء أو تشـريعًا وتعليمًا، وفي ذلـك رد على أرباب الجاه وأصحاب التكبر والخيلاء ـ وكان ﷺ يبتدر من لقي بالسلام».

لقد كان النبي ﷺ من أكمل الناس شرفًا، وألطفهم طبعًا وأعدلهم مزاجًا، وأسـمحهم صلة، وأنداهم يدًا، لأنه مستغن عن الفانيات بالباقيات الصالحات.

---

(٥) صحيح مسلم، برقم ٥٣ (٢٣٠٩).

وقد أكد الرسول ﷺ على التواضع في جملة من الأحاديث منها:

● قولـه ﷺ: «أَكْمَـلُ الْمُؤْمِنِيـنَ إِيمَانًـا أَحْسَـنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِكُمْ»(٦).

● وقولـه ﷺ: « إِنَّ الْمُؤْمِـنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْـنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»(٧).

العفو عند الخصام:

عن أبي هريـرة (رضي الله عنه): «أَنَّ رَجُلًا شَـتَمَ أَبَا بَكْرٍ وَالنَّبِيُّ ﷺ جَالِسٌ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْجَبُ وَيَتَبَسَّمُ، فَلَمَّا أَكْثَرَ رَدَّ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَامَ، فَلَحِقَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُـولَ اللَّهِ كَانَ يَشْـتُمُنِي وَأَنْتَ جَالِـسٌ، فَلَمَّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ، غَضِبْتَ وَقُمْتَ، قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَنْكَ، فَلَمَّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ، وَقَعَ الشَّـيْطَانُ ـ أَيْ حَضَرَ ـ يَا أَبَا بَكْرٍ ثَلَاثٌ كُلُّهُنَّ حَقٌّ: مَا مِنْ عَبْدٍ ظُلِمَ بِمَظْلَمَةٍ فَيُغْضِي عَنْهَـا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِلَّا أَعَزَّ اللـهُ بِهَا نَصْرهُ، وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ عَطِيَّـةٍ، يُرِيدُ بِهَـا صِلَةً، إِلَّا زَادهُ اللهُ بِهَا كَثْـرَةً، وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ، يُرِيدُ بِهَا كَثْرَةً، إِلَّا زَادهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا قِلَّةً»(٨).

---

(٦) مسند الإمام أحمد: عن أبي هريرة برقم: ١٠١٠٦، وسنن الترمذي عنه أيضا برقم: ١١٦٢.

(٧) مسنـد الإمام أحمـد: جـ ٦ – ص٩٠، ورواه أبـو داود في سننه عن عائشة، حديث رقم ٤٧٩٨.

(٨) سـنن أبي داود: جـ ٥ – صـ٢٠٤، ورواه أحمد في مسنده مـن حديث أبي هريرة، حديث رقم ٩٦٢٤. (المجلة).

من تواضع الرسول ﷺ:

عن أنس (رضي الله عنه) قال: « مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ رُؤْيَةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَانُوا إِذَا رَأَوهُ لَمْ يَقُومُوا لَهُ لِمَا كَانُوا يَعْلَمُونَ مِنْ كَرَاهِيَتِهِ لِذَلِكَ»[٩].

وكان ﷺ «يَزُورُ الْأَنْصَارَ فَيُسَلِّمُ عَلَى صِبْيَانِهِمْ، وَيَمْسَحُ بِرُءوسِهِمْ، وَيَدْعُو لَهُمْ»[١٠].

وكان (عليه الصلاة والسلام) يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم، ويعود مرضاهم، ويشهد جنائزهم، وكان يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، ويجيب دعوة العبد، كما كان يُدعى إلى خبز الشعير فيجيب.

وعن أنس (رضي الله عنه) قال: «كانت ناقة رسول الله ﷺ لا تُسبق أو لا تكاد تُسبق فجاء أعرابي على قعود له ـ أي جمل ـ فسبقها، فشق ذلك على المسلمين حتى عرفه، فقال الرسول ﷺ: «حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْتَفِعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ»[١١].

---

(٩) رواه أحمد في مسنده من حديث أنس، حديث رقم ١٢٣٤٥. ورواه الترمذي في سننه من حديث أنس أيضًا حديث رقم ٢٧٥٥. (المجلة).

(١٠) حديث صحيح رواه النسائي من حديث أنس برقم ٨٢٩١ وينظر: تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف رقم: ٢٨٠. (المجلة).

(١١) رواه البخاري، في صحيحه من حديث أنس برقم ٢٨٧٢. (المجلة).

من رفق الرسول ﷺ:

قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨)

وعن أنس (رضي الله عنه) قال: «بينما نحن في المجلس مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فصاح به أصحاب رسول الله ﷺ: مه مه ـ أي اترك ـ !! قال النبي ﷺ: «لَا تُزْرِمُوهُ ـ لا تقطعوا بوله ـ» فترك الصحابة الأعرابي يقضي بوله، ثم دعاه الرسول ﷺ وقال له: « إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنَ الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ» ثم قال لأصحابه ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ، أَهْرِيقُوا عَلَيْهِ دَلْوًا مِنْ مَاءٍ» عندها قال الأعرابي: اللهم ارحمني ومحمدًا، ولا ترحم معنا أحدًا. فقال له الرسول ﷺ: «لَقَدْ تَحَجَّرْتَ وَاسِعًا ـ أي ضيقت واسعًا ـ »[١٢].

وعن عائشة (رضي الله عنها) روت أن اليهود أتوا النبي ﷺ فدار بينهم الحوار الآتي:

---

(١٢) مسند الإمام أحمد: جـ ٢ – ص٢٣٩، من حديث أنس بن مالك برقم ١٢٩٨٤، السنن الكبرى للبيهقي: جـ ٢ – ص٤٢٧، ٤٢٨.

- اليهود: السام عليك ـ أي الموت عليك ـ.
- الرسول ﷺ: «وَعَلَيْكُمْ».
- عائشة: السام عليكم، ولعنكم الله وغضب عليكم!
- الرسول ﷺ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ! عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ».
- عائشة: أولم تسمع ما قالوا؟!!
- الرسول ﷺ: «أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ، رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ».

وفي رواية لمسلم: «لَا تَكُونِي فَاحِشَةً، فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ»(١٣).

الرحمة عند رسول الله ﷺ:

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: « قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ»(١٤).

سعة قلبه منذ طفولته إلى لحظة وفاته ﷺ:

روى ابن إسحاق وابن هشام: «أن حليمة لما جاءت كان على صدرها ولد لا يشبع من ثديها ولا من ناقتها فناقتها عجفاء، وثديها جاف، وراحت تبحث عن طفل ترضعه،

---

(١٣) رواه مسلم في صحيحه من حديث عائشة برقم ٢١٦٥. (المجلة).

(١٤) رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة حديث رقم ٥٩٩٧. (المجلة).

وتأخــذ من المال من أهله ما تأكل به طعامًا فيفيض حليبًا، بحثــت في الأطفــال فلم تر إلا اليتيم محمــدًا ﷺ فأعرضت عنه وســألت عن غيره، فما جاءها غيره، فعادت إليه أخذته ومشــت، تقول حليمة فيما رواه ابن إســحاق: فلما وضعته علــى ثديــي ما أقبــل عليه، وقد شــعرت أن ثديــي قد امتلأ بالحليــب، أعطيه الثدي لا يقبلــه، انتبهت إلى أن أخاه يبكي من الجوع فوضعته فأخذت أخاه فأرضعته فشــرب فشبع، ثم حملت ابني محمدًا، فوضعته على ثديي فأخذه.

ما أخذ ثديها وله أخ جائع وهو طفل صغير، إن الله -تعالى- جعلــه محبوبًا من اللحظــة الأولى، فما كان يقبل أن يأكل حتى يأكل أخاه، وما كان يقبل أن يأكل حتى يفيض الطعام».

وما ثبت أن رســول الله ﷺ أكل من إناء وانتهى الطعام الذي فيه أبدًا.

قــال عنه عمه أبو طالــب: «كان إذا جــاء الأولاد للطعام، امتنــع حتى يأكل الأولاد جميعًا، ولا يقترب حتى يأكلوا، لأنه لا يريد أن يقلل على أحد غذاءه، فهو يصبر ليشبع الآخرون، فمــا كان يومًا يجاذب الدنيا أحــدًا، فهو يعلم أن الحب ينبع مــن إعراضك عن الدنيــا، فإذا أحببت الدنيــا أعرض الناس عنك، وإذا أحببت الله أقبل الناس إليك».

من منا إذا دخلت عليه ابنته يقوم لها؟ كان إذا دخلت فاطمة قام لها وقال: «مَرْحَبًا بِمَنْ أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي»، وتعالوا نرَ

كيف عبّر (عليه الصلاة والسلام) عن حبه للزهراء، هل كان ذلك بمال أو بأثاث؟ أبدًا ولكن بقربان إلى الله -تعالى-.

فكانت كلما جاء جبريل -عليه السلام- بكنز فيه قربة من الله يقول ﷺ: «يَا فَاطِمَةُ، جَاءَنِي جِبْرِيلُ بِكَنْزٍ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ تَعَالَيْ أُعْطِيكِ إِيَّاهُ، فَأَنْتِ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ يَا فَاطِمَةُ».

ولما شكت له من أعمال المنزل وطلبت منه خادمة، قال لها ﷺ: «ألا أعطيك ما هو خير من ذلك؟» قالت: نعم فقال لها: «تقولي بعد كل فريضة: سبحان الله ثلاثًا وثلاثين، والحمد لله ثلاثًا وثلاثين، والله أكبر ثلاثًا وثلاثين، وتمام المئة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، بيده الخير وهو على كل شيء قدير» فهذا خير لها من الخادمة في الدنيا والآخرة، فهو يعينها في دنياها وينفعها في آخرتها، وقد قبلت فاطمة ما أعطاها والدها وهي مسرورة فرحة.

حبه لأمته ﷺ:

بعد أن عُرج بالنبي ﷺ وكرّمه ربه، سأله رب العزة «يَا مُحَمَّدُ، أَبَقِيَ لَكَ شَيْءٌ؟ قَالَ: نَعَمْ رَبِّي. فَقَالَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: سَلْ تُعْطَ.. فَقَالَ: أُمَّتِي، أُمَّتِي» لم يقل أبنائي، لم يقل: أصحابي، لم يقل: أهلي، قال: أمتي.

وقد ورد في بعض كتب التفسير عند قوله (تعالى):

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾

(الضحى: ٥)

أنــه لما نزلت عليه هــذه الآية قال: «اللَّهُــمَّ لَا أَرْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَوَاحِدٌ مِنْ أُمَّتِي فِي النَّارِ».

لقد أرســل لنا -عليه الصلاة والسلام- نحن الذين نعيش فــي هذا الزمــن: «بلِّغُوا السَّــلَامَ عَنِّي، مَنْ آمَنَ بِــي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». سلم علينا قبل أن نكون شيئًا مذكورًا، وعرفنا قبل أن نعرفه، فكيف لا نكافئ هذا الحب بحب؟!

اللهــم صل وســلم وبارك على ســيدنا محمــد، وعلى آله وصحبه، عدد خلقك، ورضاء نفســك، وزنة عرشــك، ومداد كلماتك كلماذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكرك الغافلون.

من كرم النبي ﷺ:

عــن أنس -رضي الله عنه- «أن رجلًا ســأل النبي ﷺ فأعطــاه غنمًا بيــن جبلين، فأتــى قومه فقــال: أي قوم، أســلموا، فإن محمــدًا يعطي عطاء ما يخــاف الفاقة فإنه كان الرجل ليجيء إلى رســول الله ﷺ ما يريد إلا الدنيا، فما يمسي حتى يكون دينه أحب إليه وأعز عليه من الدنيا وما فيها.

ولقد كان الرســول ﷺ أجود الناس صدرًا، أي إن جوده كان عن طيب قلب، وانشــراح صــدر، لا عن تكلف وتصنع، وورد فــي رواية أخرى أنــه -عليه الصلاة والســلام-: كان أوســع الناس صــدرًا، وهو كناية عن عــدم الملل من الناس على اختلاف طباعهم وتباين أمزجتهم..

جامع صفاته ﷺ:

عن إبراهيم بن محمد من ولد علي بن أبي طالب قال: «كان عليّ (رضي الله عنه) إذا وصف النبي ﷺ قال: أجود الناس صدرًا، وأصدق الناس لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشيرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ[١٥].

وما ألطف قول ابن الوردي (رحمه الله تعالى): «يا ألطف مرسل كريم، وما ألطف هذه الشمائل».

عراقة أصله ﷺ:

هو خير أهل الأرض نسبًا على الإطلاق، فلنسبه من الشرف أعلى ذروة، وأعداؤه كانوا يشهدون له بذلك، ولهذا شهد له به عدوه إذ ذاك أبو سفيان بين يدي ملك الروم، فأشرف القوم قومه، وأشرف القبائل قبيلته وصدق الله (تبارك وتعالى) إذ يقول:

﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (الأنعام: ٣٣)

ويؤيد ذلك ما جاء على لسان أبي جهل عدو الله وعدو رسوله، إذ قال للنبي ﷺ: «قد نعلم يا محمد: أنك تصل الرحم، وتصدق الحديث ولا نكذبك، ولكن نكذب الذي جئت

(١٥) أخرجه الترمذي، وابن سعد والبغوي في شرح السنة، والبيهقي في شعب الإيمان.

به»[١٦]، فأنزل الله (عز وجل):

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (الأنعام: ٣٣)

ولهذا ورد أنهم عرضوا عليه الجاه والسيادة والملك وجمع الأموال والمغريات الأخرى مقابل ترك هذه الدعوة أو جزءًا منها كحل وسط، ولكنهم لم ينجحوا فيها؛ لأن موقف الرسول ﷺ كان ثابتًا.

وعرض هذه الأمور عليه يدل على سمو مكانة النبي ﷺ من جهة النسب عند قومه قريش، الذين كانوا يأنفون أن يخضعوا للوضيع مهما كان الأمر، وخاصة إذا جاء بأمر يخالف عاداتهم وتقاليدهم، مثل ما جاء به رسول الله ﷺ من: الدين الحنيف، والدعوة إلى التوحيد، ونبذ الشرك والأوثان، وما كان سائدًا في مجتمع مكة من عادات وتقاليد جاهلية.

عادة الصحابة في تعظيمه -عليه الصلاة والسلام- وتوقيره وإجلاله:

عن ابن شماسة المهري قال: «حضرنا عمرو بن العاص فذكر لنا حديثًا طويلا فيه: وما كان أحد أحب إليّ من رسول ﷺ، ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالًا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت،

(١٦) أخرجه الحاكم في مستدركه، وقال: هذا صحيح على شرط الشيخين.

لأني لم أكن أملأ عيني منه».

وروى الترمذي[١٧] عن أنس: «أن رسول الله ﷺ كَانَ يَخْرُجُ عَلَى أَصْحَابِهِ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَهُمْ جُلُوسٌ وَفِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَلَا يَرْفَعُ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَصَرهُ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَإِنَّهُمَا كَانَا يَنْظُرَانِ إِلَيْهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمَا وَيَتَبَسَّمَانِ إِلَيْهِ وَيَتَبَسَّمُ إِلَيْهِمَا ».

ولما أذنت قريش لعثمان في الطواف بالبيت حين وجهه النبي ﷺ إليهم في القضية أبى وقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ.

وروى أسامة بن شريك قال: «أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَإِذَا أَصْحَابُهُ حَوْلَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرَ»[١٨].

غض الصوت وقت مخاطبته ﷺ:

من المعلوم أن الرسول ﷺ هو المصدر الوحيد الذي يتلقى عنه المسلمون تعاليم الله -سبحانه وتعالى- سواء كان قرآنًا أو سنة أو حديثًا قدسيًّا؛ لذلك يجب عليهم أن يتأدبوا معه ﷺ أثناء كلامه معهم أو كلامهم معه، وذلك بخفض الصوت، وترك الجهر العالي، كما يكون بين الإنسان وصديقه لقوله -تعالى-:

---

(١٧) رقم : ٣٦٦٨.

(١٨) مسند ابن أبي شيبة ٧٨٣.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾ (الحجرات: ٢)

يقــول ابن كثير في تفســيرهذه الآية: «هذا أدب ثان أدب الله تعالى به المؤمنين أن لا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي ﷺ فوق صوته».

والأدب هنا يحصل بمجانبة أمرين اثنين:

أولهمــا: رفع الصــوت فوق صوته ﷺ أخــذًا من النهي الوارد في قوله: ﴿لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾

ثانيهمــا: الجهر بالقول له ﷺ كجهــر بعضكم لبعض أخذًا من النهي الوارد في قوله تعالى:

﴿وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ ﴾

وقد فرق المفسرون بين النهيين الواردين في الآية، حيث قالــوا: إن الأول يتعلــق برفع الصوت فــوق صوته ﷺ أثناء كلامه معهم، أما الثاني فيتعلق بالجهر له ﷺ وقت صمته.

ومنهم من يقول: إن النهي الأول يتعلق وقت خطابه معهم أو خطابهــم معه أو صمتــه، وأن الثاني يتعلــق بندائه ﷺ باسمه المجرد أو بكنيته، مثل: يا محمد، أو يا أبا القاسم.

وقد أجمل النيســابوري -رحمه اللــه تعالى- في ما ورد في التفريق بين هذين النهيين قائلًا:

«والجمهور على أن بين النهيين فرقًا، ثم اختلفوا فقيل:

الأول: فيما إذا نطق ونطقتم، أو أنصت ونطقوا في أثناء كلامه، فنهوا أن يكون جهرهم باهر الجهر.

والثاني: فيما إذا سكت ونطقوا ونُهوا عن جهر مقيد بما اعتادوه فيما بينهم، وهو الخالي عن مراعاة منزلة النبوة. وقيل: النهي الأول أعم مما إذا نطق ونطقوا، أو أنصت ونطقوا، والمراد بالنهي الثاني أن لا ينادى وقت الخطاب باسمه أو كنيته كنداء بعضكم لبعض، فلا يقال: يا أحمد، يا محمد، يا أبا القاسم، ولكن يا نبي الله، يا رسول الله.

والأدب الثاني: هو أدبهم مع نبيهم في الحديث والخطاب، وتوقيرهم له في قلوبهم توقيرًا ينعكس على نبراتهم وأصواتهم، ويميز شخص رسول الله ﷺ بينهم، ويميز مجلسه فيهم، والله يدعوهم إلى ذلك النداء الحبيب، ويحذرهم من مخالفة ذلك التحذير الرهيب.

والتحذير الرهيب هو: إحباط العمل الصالح بدون شعور صاحبه أخذًا من قوله تعالى:

﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾

وأحسن ما قيل في تأويل هذه الآية ما ذكره ابن المنير -رحمه الله- حيث يقول:

والقاعدة المختارة أن إيذاءه ﷺ يبلغ مبلغ الكفر المحبط للعمل باتفاق، فورد النهي عما هو مظنة لأذى النبي ﷺ

سواء وجد هذا المعنى أو لا، حماية للذريعة وحسمًا للمادة.

وهذا على غرار قوله تعالى في قضية الإفك:

﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾

(النور: ١٥)

وقوله ﷺ:

« إِنَّ العَبْـدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْـوَانِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَـالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَـاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ .»[١٩]

وقـد التزم الصحابة -رضوان الله عليهم- بهذا الأدب مع رسـول الله ﷺ في عهده كما ورد في الآثار منها: قول أبي بكر -رضي الله عنه- لرسـول اللـه ﷺ: «وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ يَا رَسُـولَ اللَّهِ، لَا أُكَلِّمُكَ إِلَّا كَأَخِي السِّرَارِ حَتَّى أَلْقَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلّ»[٢٠].

هكذا ارتعشـت قلوبهم وارتجفت تحت وقـع ذلك النداء الحبيـب، وذلك التحذير الرهيب، وهكـذا تأدبوا في حضرة رسول الله ﷺ خشـية أن تحبط أعمالهم وهم لا يشعرون، وتداركوا أمرهم ولكن هذا المنزلق الخافي عليهم كان أخوف عليهم فخافوه واتقوه:

---

(١٩) رواه البخاري عن أبي هريرة برقم: ٧٤٧٨.

(٢٠) أخرجـه الحاكم في مستدركـه وقال: هذا حديث صحيح علـى شرط مسلم، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾

(الحجرات: ٣)

كذا كان الأمر في حياته ﷺ، وأما بعد مماته فكذلك يجب على المسلم أن يتأدب مع رسول الله ﷺ بحيث لا يرفع صوته عند سماع أحاديثه ﷺ، لأن حرمته ميتًا كحرمته حيًّا سواء بسواء، وأن أحاديثه تقوم مقامه.

يقول ابن العربي رحمه الله تعالى:

«حرمة النبي ﷺ ميتًا كحرمته حيًّا، وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه، فإذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه، ولا يعرض عنه، كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به، وقد نبه الله -تعالى- على دوام الحرمة المذكورة على مرور الأزمنة بقوله تعالى:

﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ ﴾

(الأعراف: ٢٠٤)

وكلام النبي ﷺ من الوحي، وله الحرمة مثلما القرآن، إلا معاني مستثناة بيانها في كتب الفقه، والله أعلم. ويراعى هذا الأدب- وهو عدم رفع الصوت- أيضًا في مسجده ﷺ لما أخرجه البخاري بسنده عن السائب بن يزيد قال: «كُنْتُ

قَائِمًا فِي المَسْجِدِ فَحَصَبَنِي رَجُلٌ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فَقَالَ: اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهَذَيْنِ، فَجِئْتُهُ بِهِمَا، قَالَ: مَنْ أَنْتُمَا - أَوْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا؟ - قَالاَ: مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ، قَالَ: «لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ البَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمَا، تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».[٢١]

كما أن هذا الأدب المستفاد من الآية يكون مع العلماء لأنهم ورثة الأنبياء، وكذلك مع الأبوين وغيرهما لمن له فضل على الإنسان المسلم، فلا شك أن هؤلاء الأشخاص يأخذون هذا الحكم، وينبغي التأدب معهم وتوقيرهم بالشكل اللائق بهم مع مراعاة الفرق بينهم وبين رسول الله ﷺ لأن مقامه أرفع من هؤلاء جميعًا، وهو ﷺ المعني بالآية أصلًا، وهؤلاء تبعًا، وليس الفرع كالأصل وإن اشتركا في أمور، والله تعالى يقول:

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾ (الأحزاب: ٦)

بل ينبغي أن يحترم العبد النبي ﷺ أكثر من سيده.

وفي مجال التأدب مع الرسول ﷺ جاء التنبيه في القرآن الكريم على ضرورة عدم مناداته بطريقة جافة ومزعجة، بل لا بد من مراعاة مقامه وقدره، وبالأخص عندما يكون في بيته مع نسائه وأولاده.

---

(٢١) صحيح البخاري رقم: ٤٧٠.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحجرات: ٤، ٥)

وعن الأقــرع بن حابس -رضي الله عنــه- أنه أتى النبي ﷺ فقال: «يا محمد، اخرج إلينا، فلم يجبه، فقال: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ حَمْدِي زَيْنٌ، وَإِنَّ ذَمِّي شَيْنٌ »[٢٢] فقال الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾

وقد تضمنت الآية أمرين:

أولهما: عدم إزعاج الرســول ﷺ في وقت خلوته في بيته مع نسائه بالنداء غير اللائق به.

وثانيهما: الإرشاد إلى ما ينبغي أن يُفعل في هذه الحالة، وهو الانتظار إلى أن يحين وقت خروجه.

وفي ذلك قال الله عز وجل:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾

أي: لكان في ذلك الخير والمصلحة في الدنيا والآخرة.

وهــذا لا يعنــي أنه لا يجــوز مناداتــه ﷺ بتاتًــا، وإنما

(٢٢) رواه أحمد عن الأقرع بن حابس برقم: ٢٧٢٠٣ والترمذي عن البراء بن عازب برقم: ٣٢٦٧.

المحظور مناداته في وقت خلوته مع نسائه في بيته كما في هذه الحالة، وكذلك مناداته بصوت مرتفع خال من الاحترام والتقدير، بل ينبغي أن ينادى بصوت منخفض وبصيغة معينة تتناسب مع قدره وعظمته ووقاره، مثل: يا رسول الله، يا نبي الله، لا مجرد اسمه مثل: يا محمد، ويا أحمد، ويا أبا القاسم، كما ينادي الناس بعضهم بعضًا.

وهذا ما أشار إليه قوله تعالى:

﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ (النور: ٦٣)

وما تدل عليه هذه الآية: أنه نهي لهم عن الإبطاء إذا أمرهم، والتأخر إذا دعاهم.

ويجب على المسلم أن يدع هذه النداءات السوقية في لفظها وكيفيتها مثل: يا محمد، ويا أحمد، أو كنيته مثل: يا أبا القاسم، كما كانوا يفعلونه من قبل، وأن يناديه ﷺ نداء يتناسب مع مقامه ومكانته مثل: يا رسول الله، ويا نبي الله، اقتداء بما في القرآن من نداء الله سبحانه وتعالى له ﷺ بحيث لم يناد رسوله في القرآن بمجرد اسمه ولو مرة واحدة، وإنما ناداه بصفة النبوة والرسالة وغيرها من الصفات الثابتة له في القرآن الكريم.

كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ (الأحزاب ٢٨)

وقوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ (المزمل: ١، ٢)

وقوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ (المدثر: ١، ٢)

مع أنه سبحانه قد قال:

﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ (البقرة: ٣٥)

وقوله:

﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾ (هود: ٤٦)

وقوله:

﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآ﴾ (هود: ٧٦)

وقوله:

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ (ص: ٢٦)

لزوم محبته ﷺ:

قال الله تعالى:

﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ (التوبة: ٢٤)

فكفى بهذا حضًّا وتنبيهًا ودلالة وحجة على إلزام محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها، واستحقاقه لها ﷺ إذ قرَّع الله تعالى مَن كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وتوعدهم بقوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ﴾

ثم فسقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله سبحانه وتعالى.

وعن أنس (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال: «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»(٢٣).

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(٢٤).

حب الرسول ﷺ من تمام الإيمان:

قال رسول الله ﷺ «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ».

وفي الحديث جمع رسول الله ﷺ أقسام المحبة التي

---

(٢٣) رواه البخاري عن أنس بن مالك برقم: ١٦.

(٢٤) أخرجه البخاري عن أنس بن مالك برقم: ١٥.

تكون بين الناس وهي ثلاثة:

١- محبة إجلال وإعظام، كمحبة: الولد والده.

٢- محبة إشفاق ورحمة، كمحبة: الوالد ولده.

٣- محبة مشاكلة واستحسان، كمحبة: سائر الناس.

أما محبته ﷺ فهي فوق هذا كله كما يفيد أفعل التفضيل في قوله: «أحب إليه».

وفي حديث عمر:

« لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ» فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ، وَاللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الآنَ يَا عُمَرُ »[٢٥].

قال القاضي عياض:

اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي ﷺ وكثرت عباراتهم في ذلك، وليست ترجع بالحقيقة إلى اختلاف مقال، ولكنها اختلاف أحوال، فقال سفيان: «المحبة اتباع الرسول»، كأنه التفت إلى قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾

(آل عمران: ٣١)

وقال بعضهم: محبة الرسول اعتقاد نصرته، والذب

(٢٥) أخرجه البخاري برقم ٦٦٣٢.

عن سـنته والانقيـاد لها، وهيبـة مخالفته. وقـال بعضهم: المحبة دوام الذكـر للمحبوب. وقال آخـر: إيثار المحبوب. وقال بعضهم: المحبة الشوق إلى المحبوب. وقال بعضهم: المحبـة مواطأة القلب لمراد الرب بحب مـا أحب وبكره ما كره. وقال آخر: المحبة ميل القلب إلى موافق له.

ثم قال: وأكثر العبارات المتقدمة إشارة إلى ثمرات المحبة دون حقيقتها، وحقيقة المحبة الميل إلى ما يوافق الإنسان.

ويقول أبو عبد الله المحاسبي:

«والمحبة في ثلاثة أشياء لا يسمى محبًّا لله عز وجل إلا بها:

١- محبة المؤمنين في الله عز وجل.

٢- محبة الرسول ﷺ لله عز وجل.

٣- محبة الله عز وجل في إيثار الطاعة على المعصية.

وحقيقـة المحبـة: الميل إلى مـا يوافق الإنسـان، وتكون موافقتـه إمـا لاسـتلذاذه بإدراكه: كحـب الصـور الجميلة، والأصوات الحسنة، والأطعمة والأشربة اللذيذة وأشباهها، مما يميل كل طبع سليم إليها لموافقتها له، أو لاستلذاذه بإدراكه: بحاسـة عقله، وقلبه، معاني باطنة شريفة كحب الصالحين والعلماء وأهل المعروف المأثور عنهم السير الجميلة والأفعال الحسـنة، فإن طبع الإنسـان مائل إلى الشغف بأمثال هؤلاء، حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم، والتشـيع من أمة في آخرين، ما يـؤدي إلى الجـلاء عن الأوطـان، وهتك الحُـرم، واحترام

النفوس، أو يكون حبه إياه لموافقته له من جهة إحسانه له وإنعامه عليه، فقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها».

ثم ذكر بعد ذلك أن هذه الأنواع المسببة للمحبة كلها مجتمعة في شخصيته ﷺ على أتم وجه حيث قال:

«فإذا تقرر لك هذا، نظرت هذه الأسباب كلها في حقه ﷺ فعلمت أنه جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة، فقد تميز بجمال الصورة والظاهر، وكمال الأخلاق والباطن، كما تميز بإحسانه وإنعامه على أمته.

وقد ذكر الله تعالى في أوصافه رأفته بهم، ورحمته لهم، وهدايته إياهم، وشفقته عليهم، واستنقاذهم من النار، وأنه بالمؤمنين رءوف رحيم، ورحمة للعالمين، ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه، ويتلو عليهم آياته ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويهديهم إلى صراط مستقيم فأي إحسان أجل قدرًا وأعظم خطرًا من إحسانه إلى جميع المؤمنين، وأي إفضال أعم منفعة وأكثر فائدة من إنعامه على كافة المسلمين، إذ كان ذريعتهم إلى الهداية، ومنقذهم من العماية، وداعيهم إلى الفلاح والكرامة، ووسيلتهم إلى ربهم، وشفيعهم والمتكلم عنهم، والشاهد لهم، والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم السرمدي».

فقد استبان لك أنه ﷺ مستوجب للمحبة الحقيقية شرعًا إلى أن قال: «فإذا كان الإنسان يحب من منحه في دنياه مرة أو مرتين معروفًا، أو استنقذه من هلكة أو مضرة مدة

التـأذي بها قليل منقطع، فمن منحه مـا لا يبيد من النعيم، ووقاه مـا لا يفنى من عذاب الجحيم أولى بالحب، وإذا كان يحب بالطبع ملكًا لحسـن سـيرته، أو حاكمًـا لما يؤثر من قـوام طريقتـه، أو قاصيًا بعيد الدار لما يشـاد من علمه أو كرم شـيمته، فمن جمع هذه الخصال كلها على غاية مراتب الكمال أحق بالحب وأولى بالميل».

علامة محبته ﷺ:

إن من أحب شـيئًا آثر موافقته، وإلا لـم يكن صادقًا في حبـه وكان مدعيًا، فالصادق في حـب النبي ﷺ من تظهر علامة ذلك عليه:

وأولها: الاقتداء به، واستعمال سنته، واتباع أقواله وأفعاله، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه في عُسـره ويُسره ومنشطه ومكرهه، وشاهد هذا قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾

وإيثـار ما شـرعه، والحض عليـه، وتقديمـه على هوى نفسه، وموافقة شهوته.

قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر: ٩)

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «قال لي رسول الله ﷺ «يَا بُنَيَّ، إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ فَافْعَلْ» ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا بُنَيَّ وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الجَنَّةِ»[٢٦].

فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله، ومَن خالفها في بعض هذه الأمور فهو ناقص المحبة، ولا يخرج عن اسمها.

ومن علامات محبته ﷺ:

الإيثار: أي إيثار النبي ﷺ على النفس، كما يدل عليه قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩)

والآية وإن كانت عامة في إيثار المهاجرين، إلا أنه ﷺ هو رئيس المهاجرين وقائدهم، وهو المحبوب الأول من الخلق أساسًا، وأما غيره فتبع له بحسب قربهم إليه ﷺ ومتابعتهم إياه.

ومن علامات محبته ﷺ أيضًا: بغض من أبغض الله

---

(٢٦) رواه الترمذي عن أنس بن مالك برقم: ٢٦٧٨ والطبراني في المعجم الصغير برقم: ٨٥٦.

ورسوله مهما كانت صلته ورتبته، لقوله تعالى:

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة: ٢٢)

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية:

قيل في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾: نزلت في أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح حين قُتل أباه يوم بدر، و﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ في الصديق لابنه عبد الرحمن ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ في عمر قتل قريبًا له يومئذ أيضًا.

وهؤلاء قاموا بقتال أقرب أقربائهم في معركة بدر؛ لأن حب الله ورسوله ﷺ اقتضى قتال من حاد الله ورسوله، وبُغض من أبغض الله ورسوله.

ومن العلامات كذلك: حُب من أحب رسول الله ﷺ أي: عكس الصورة السابقة لقوله ﷺ: « اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ

أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ »[٢٧].

ثمرة محبته ﷺ:

من ثمرة محبته ﷺ مرافقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين لحديث عائشة -رضي الله عنها-: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ إِنَّكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَإِنَّكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ وَلَدِي وَإِنِّي لَأَكُونُ فِي الْبَيْتِ فَأَذْكُرُكَ فَمَا أَصْبِرُ حَتَّى آتِيَكَ فَأَنْظُرَ إِلَيْكَ وَإِذَا ذَكَرْتُ مَوْتِي وَمَوْتَكَ عَرَفْتُ أَنَّكَ إِذَا دَخَلْتَ الْجَنَّةَ رُفِعَتْ مَعَ النَّبِيِّينَ وَإِنِّي إِذَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ خَشِيتُ أَنْ لَا أَرَاكَ».[٢٨]

فأنزل الله تعالى:

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ (النساء: ٦٩)

عن أنس (رضي الله عنه) أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا». قَالَ: لاَ شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ، فَقَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ

(٢٧) رواه الترمذي عن عبد الله بن مغفل برقم: ٣٨٦٢ وأحمد في مسنده برقم: ٢٠٥٤٩.

(٢٨) رواه الطبراني في الصغير عن عائشة برقم: ٥٢ وحلية الأولياء ٣٣٩/٤.

أَحْبَبْتَ». قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ، فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»[٢٩].

فهل من ثواب أرجى من أن يحشر المرء مع من أحب، خاصة إذا كان المحبوب هو المصطفى ﷺ؟!

قال شهاب الدين الخفاجي رحمه الله تعالى:

وحق المصطفى لي فيه حب
إذا مرض الرجاء يكون طبّا
ولا أرضى سوى الفردوس مأوى
إذا كان الفتى مع من أحبّا

صور من حب السلف للرسول ﷺ:

هناك صور متعددة من حب السلف للرسول ﷺ نذكر طرفًا منها في هذا المقام، وخاصة ما روي في حب الصحابة (رضوان الله عليهم أجمعين) للرسول ﷺ من ذلك ما أخرجه الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:

«لَمَّا فَرَضَ عُمَرُ لِأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ثَلَاثَةَ آلَافٍ، وَفَرَضَ لِي أَلْفَيْنِ وَخَمْسَ مِائَةٍ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَتِ، لِمَ تَفْرِضُ لِأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ثَلَاثَةَ آلَافٍ، وَتَفْرِضُ لِي أَلْفَيْنِ وَخَمْسَ مِئَةٍ؟ وَاللَّهِ مَا شَهِدَ أُسَامَةُ مَشْهَدًا غِبْتُ عَنْهُ وَلَا شَهِدَ أَبُوهُ مَشْهَدًا غَابَ عَنْهُ أَبِي، قَالَ: «صَدَقْتَ يَا بُنَيَّ، وَلَكِنِّي أَشْهَدُ لَأَبُوهُ كَانَ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى رَسُولِ

(٢٩) أخرجه البخاري عن أنس بن مالك برقم: ٣٦٨٨.

اللَّهِ ﷺ مِنْ أَبِيكَ، وَلَهُوَ أَحَبُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْكَ»[٣٠].

ومنهـا: ما روي أنه لما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه، قال له أبو سفيان بن حرب:

«أنشـدك بالله يا زيد، أتحب أن محمدًا الآن عندنا مكانك لضـرب عنقه وإنـك في أهلك؟ فقال زيـد: والله ما أحب أن محمـدًا الآن في مكانه الـذي هو فيه تصيبه شـوكة، وإني جالس في أهلي، فقال أبو سـفيان: ما رأيت أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا».

ومنهـا: ما روي أن امرأة مـن الأنصار قُتل أبوها وأخوها وزوجها فأخبروها بذلك، فقالت: «ما فعل الله برسول الله؟ قالـوا: بحمد الله كمـا تحبين، فقالت: أرونيـه حتى أنظره، فلما رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل».

وقال ﷺ: «مِنْ أَشَـدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا، نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ»[٣١].

---

(٣٠) رواه الحاكم في مستدركه عن عبد الله بن عمر برقم: ٦٣٦٧.

(٣١) رواه مسلم عن أبي هريرة برقم: ١٢ (٢٨٣٢).

الفصل الثاني

أسس الحضارة الإسلامية

بعدما تحدثت المستشرقة الألمانية «زيجريد هونكه» عن معجزة العرب الحضارية في كتابها «شمس الرب تسطع على الغرب» تساءلت عن المقومات التي احتاجها العرب ليُبعثوا مثل هذا البعث، كما تساءلت عن العوامل التاريخية والاجتماعية والروحية والفكرية التي كان لا بد لها أن تجتمع لتخلق هذه المعجزة التي حققها العرب.

وقبل أن نجيب لهذه المستشرقة عن سؤالها نقرأ قوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾

(الحشر:٩ - ١٢)

فى هذه الآيات الكريمة صورتان متقابلتان ومتناقضتان عن الإيمان والنفاق، ففي حين تشع صورة الإيمان في حدث تاريخي مهم هو إيثار الأنصار للمهاجرين على أنفسهم

بـكل ما يملكـون، وخروجهم من شـح ذواتهـم إلى رحاب القيـم والمبـادئ تتجلى الصـورة الثانية في حالـة النفاق والغل والكذب والدجل التي كانت قائمة بين الكفار من أهل الكتاب والمشـركين أو المنافقين الذيـن وعدوهم بالنصرة ثـم خذلوهم وخانوهم، إن في هاتين الواقعتين التاريخيتين واقعة إيثار الأنصار وحـادث دجل المنافقين، وكذبهم على أهل الكتاب من اليهود ألف عبرة وعبرة لنا.

وفـي الواقـع، فإن الآيـات القرآنيـة تحدثنا عـن قضية معينـة، ولكن من خلال أفق أوسـع بحيث إننا لو اسـتندنا إلـى آيـة قرآنية واحـدة لاسـتطعنا من خـلال منظارها أن نـرى العالم كله، فعلى الرغم من أن الآيـة الواحدة تبين لنا حقيقـة خاصـة، إلا أنها تضمنت إيماء وإشـارة إلى سـائر الحقائـق الكونية، وهذا من معاجز القـرآن الكريم، والآيات التـي أوردناها في مقدمة هذا البحث، يمكننا أن نسـتوحي منها القواعد التي لا بد أن ننطلق منها لبناء صرح الحضارة الإسـلامية الشامخ، بمعنى أننا لو اسـتلهمنا من هذه الآيات كل معانيها السامية، لاستطعنا أن نحولها إلى برامج عملية لقهر التخلف الحضاري الذي نعاني منه.

ما هي الحضارة الحقيقية؟

والحضارة هي: حضور الإنسـان عند الإنسان، وتعاونه، وتفاعله معه، ابتداء من الحضـور المادي وانتهاء بالتفاعل

المعنــوي، ومرورًا بالتعاون العملــي، وهذه البنود هي التي تشكل قواعد وأسس الحضارة.

والقــرآن الكريم لا يريد لنا أن نكون صوريين قشــريين، نتحدث فقــط عن الإنجــازات والمكاســب والبنــى الفوقية للحضارة، أو عن القشــور الخارجية للتقدم، بل يريد منا أن نكــون موضوعيين واقعيين من ذوي الألبــاب، فإن تحدثنا عن شــيء تحدثنا عن خلفياته وعن أول نشأته وعن طريقة نموه وتكامله، ولا نكتفي بالحديث عند ما انتهى إليه.

والقــرآن عندمــا يحدثنا عن المجتمع الإســلامي الفاضل الذي بناه وشــيد صرحه رســول الله ســيدنا محمد ﷺ في المدينة المنورة فإنــه لا يحدثنا عن طبيعة البيوت وطريقة تعبيد الطرق، ولا عن أســلوب بيعهم وشــرائهم، بل يحدثنا عن أمر آخر عــن قواعد الحضارة، وتلك الروح الكبيرة التي اســتطاعت أن تســتوعب شــتات القبائل العربية المتناحرة التي كان شــعارها الخــوف، ودثارها الســيف، والتي كانت تعيش في وضع متأزم، ويهدد الفناء حياتها، وكانت طعمة للغــزاة، ومع كل ذلك فقد حولهم رســول الله ﷺ برســالة الإســلام وبالقرآن الكريم الذي بين أيدينا إلى ذلك المجتمع الفاضل الذي يُضرب به المثل في التقدم المعنوي والمادي.

ومن خلال الآيات الســابقة نســتلهم الأســس التي قامت عليها الحضارة الإسلامية.

حب الآخرين:

الأساس الأول هو حب الآخرين:

﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾

فعلى الرغم من أن الإنسان مفطور على حب الذات، ولكن أولئك الأنصار كانوا يستقبلون المهاجرين بالحب قبل كل شيء، وذلك عندما كانت وفود المهاجرين تتقاطر عليهم تاركة بلدها، وأموالها، وإمكاناتها الاجتماعية، وقادمة صفر اليدين لا يملكون من مال الدنيا شيئًا.

إن بإمكان الإنسان أن يصطنع الحب في قلبه، وبإمكانه أن يداهن ويجامل الآخرين دون أن يُكِنَّ الحب الحقيقي لهم، أما الحب النابع من أعماق القلب فهو شيء آخر، إنه يدل على تحول في أعمق أعماق الإنسان؛ ولذلك قال تعالى عنهم:

﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾

أي: إن حب هؤلاء يسمو على كل علاقاتهم، فما قيمة الدار، وما قيمة الأثاث والمتاع، وما قيمة العلائق المادية الأخرى بجوار كل هذا؟!

السمو على الأمور المادية:

إن الإيمان هو القيمة الأسمى، فنفوسهم كانت تسمو على الأمور المادية، وعندما كانوا يدفعون مقدارًا من المال، أو يتنازل الواحد منهم للمهاجرين عن الأرض والدار، أو عن

زوجته الثانية من خلال تطليقهـا ليتزوجها المهاجر، فإنه مع ذلك لا يستعظم ما قدمه، ولا يرى قيمة له، فلا يلحق بما قدم مَنًّا ولا أذًى.

الإيثار على النفس:

الصفة الثالثة تتمثل في قوله تعالى:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾

وهذا هو منتهى العطاء والجود في سبيل الله تعالى.

إيقاء النفس من الشح:

وتلك الصفات الثلاث تجمعها صفة واحدة أساسية يعبر عنها القرآن الكريم بقوله:

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾

وكلمة ﴿مِن﴾ جاءت بحيث تحتمل الجمع، وتحتمل الإفراد في نفس الوقت.

ولكن الكلمة الثانية ﴿يُوقَ﴾ توحي بالمفرد؛ لأن الإنسان عندما يوقى شح نفسه، ويخرج من زنزانة ذاته، فحينئذ سوف لا يكون إنسانًا واحدًا، بل سيكون في رحاب الجمع، ولا يلبث أن يصبح مجتمعًا ويتحول إلى حضارة.

إن الإنسان الذي يوقى شح نفسه ويتحرر من ذاتيته وأنانيته فإنه سيلحق بتجمع المرسلين عبر التاريخ، وينضم إلى صفوف شخصيات عظيمة مثل: آدم، وإدريس، نوح، إبراهيم الخليل، وموسى بن عمران، وعيسى ابن مريم،

ونبينا محمد ﷺ، وسيلتحق بركب الحضارة التاريخية؛ ولذلك قال تعالى:

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾

وهذه هي الصفة الأساسية التي تتفرع منها سائر الصفات.

إننا إذا أردنا أن نعرف أنفسنا، وهل نحن في عداد هؤلاء المفلحين، فإن مقياسنا في ذلك هو الصفات الفرعية، فإن كان الواحد منا محبًّا للمهاجرين، ولا يجد في صدره حاجة مما أوتي، وكان مؤثرًا على نفسه ولو كان به خصاصة، فحينئذ سيكون ممن قال عنهم عز وجل:

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾

الوحدة منطلق تأسيس الحضارة:

إننا قد لا نعيش أزمة حضارية، وقد لا نمر بالغليان الثوري الذي يهز المجتمع من الأعماق فنحتاج إلى الإيثار، ولكننا نعيش -لا ريب- في حالة نحتاج فيها إلى الوحدة؛ ولذلك يقول الله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا﴾

فبداية تأسيس الحضارة، ومنطلق الوحدة اعتراف الإنسان بالذنب، واعترافه باحتمال أن يصدر الخطأ منه برحابة صدر، وإلا فإن أرضية الوحدة لا يمكن أن تتهيأ أبدًا.

إن هذه الأرضية تتطلب مني أن أعترف بذنبي، وأستغفر الله قبل أن أشير إلى أخطاء الآخرين وأستغفر لهم، وإلى هذا المعنى يشير قوله -تبارك وتعالى-:

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾

والغل يعني: أن تضمر في نفسك السوء للآخرين، فإن كان هذا السوء يعني أن تحب لنفسك ما لا تحب لهم، وتكره لها ما لا تكرهه لهم، فإن هذا معناه: أنك تحب أن يرتكبوا خطأ وينزلقوا ويتوقفوا عن التحرك إلى الأمام، فالغل هو: أي سوء تضمره في نفسك للآخرين، ولذلك يقول -عز وجل- محذرًا من هذه الصفة:

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾

والملاحظ هنا أن الله -سبحانه- استخدم صفة الرأفة والرحمة عندما تحدث عن ضرورة أن يُكنَّ المؤمنون الحب لبعضهم البعض، وهذا معناه أننا عندما نريد أن نتحدث عن التعاون والوحدة بين الأصدقاء فإن علينا أن لا نتحدث معهم بلغة عذاب الله، بل بلغة رحمة الله ورأفته.

إن على الإنسان أن يتخلق بأخلاق ربه، فعندما تريد أن تتعاون مع الآخرين فلا تُحصِ أخطاءهم، فالله -سبحانه- هو الذي يتولى المحاسبة والمراقبة، وهو الذي من أجله نعمل، وهو الغفور الرحيم.

إن هـذه هي الصـورة الحقيقية للحضارة كما يرسـمها لنا القرآن الكريم، فهي ليسـت مجرد كلمات وشـعارات أو إنجازات مادية، بل هي مكاسب معنوية قبل كل شيء، وهي تعاون ينطلق من حالة الإيثار.

ثم يصور لنا القرآن الكريـم الجانب المخالف للحضارة فيقول:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾

تُرى من أي فريق نريد أن نكون؟

إننـا يجب أن نجتهد اليوم مـن أجل أن نكون من الفريق الأول، وللأسـف فإن الكثير منا يرفع شـعار الوحدة، ولكنه عندما يواجه الواقع العملي سـرعان مـا ينهار، فتزل قدمه بما يرفع من شعار.

إننـا نعلـم أن هنـاك خلافـات، وأن هناك وجهـات نظر مختلفة، وأسـبابًا تدعو إلى الشـقاق، ولكـن لا بد أن نتمتع بتلك النفسـية الرحبة التي تسـتطيع أن تسـتوعب الجميع، ولا بد من أن نصمد أمام الخلافات، فلا نستسـلم لأي إنسان يثيرنـا بصورة أو بأخرى، بحيث تشـتعل حرب لا تُبقي ولا

تذر بسبب أمور ثانوية تافهة[٣٢].

إن من العار علينا أن ندخل في صراع مع بعضنا البعض، فالأعداء يتربصون بنا الدوائر، والقرآن الكريم يأمر أن نكون أشداء على الكافرين، أذلة مع المؤمنين.

نعود لنكمل الجواب الذي كنا بدأناه عن أسس الحضارة الإسلامية ونقول: إن الإسلام وحده هو الذي كان وراء هذا البعث العربي والإعجاز الحضاري الذي حققه العرب، فلقد كان العرب في حاجة إلى عقيدة إلهية واحدة تكون مصدر التجمع والتصور، ومنبع الفكر، ومنهج الحياة.. مؤثرة في المبادئ والشرائع والأنظمة والأوضاع التي تنظم المجتمع أفرادًا أو جماعات مع نظام مؤثر في الأخلاق والآداب والتقاليد والعادات والقيم والموازين التي تسود المجتمع، وتؤلف ملامحه مع سيادة القيم الإنسانية واستملاء الإنسان في العقيدة الإسلامية والنظام الاجتماعي الإسلامي.

أولاً: العقيدة:

تقوم العقيدة في الإسلام على تنظيم صلة الإنسان بالله -سبحانه وتعالى- وتعطيه قيمًا معينة، وشريعة تنظم الحياة الاجتماعية حسب هداية الله -سبحانه وتعالى-: أن

---

(٣٢) الحضارة الإسلامية ـ آفاق وتطلعات المؤلف: سماحة آية الله السيد محمد تقي المدرسي.

ترتكز هذه العقيدة على شهادة (أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله) وهي تعني: الإفراد بالعبودية لله وحده دون سواه، والاعتراف بالخَلق والسلطان له -سبحانه وتعالى- وتنزيهه عن الشريك.

ويتمثل ذلك: في التصور والإدراك البشري من تلقي الإنسان لحقائق العقيدة من مصدرها الرباني الذي يتكيف به الإنسان في إدراكه لحقيقة ربه، ولجلاله، ولحقيقة الكون الذي يعيش فيه، ولحقيقة الحياة التي يعيشها، ولحقيقة الإنسان نفسه، ومن ثَم تصبح عقيدة (أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله) قاعدة لمنهج كامل تقوم عليه حياة الأمة المسلمة بحذافيرها؛ فأركان الإسلام من مقتضياتها: صلاة، وزكاة، وصيام، وحج، وحدود، وتعازير، وحلال وحرام، وسلوك وأخلاق، والاعتراف بالعقيدة لله رب العالمين يقتضي الطاعة لله وحده والتسليم لحكمه دون سواه:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾

(الأنعام: ١٦٢ ، ١٦٣)

هذه العقيدة القائمة على التوحيد، لها معطيات كانت وراء ما حققته الحضارة الإسلامية من سمو وإعجاز أدهش العالم، وآثار تساؤلات علمائه عن هذه المعطيات، ومن هذه المعطيات:

١- السمو الإنساني:

إذ أعطت هــذه العقيدة لحامليها ومعتنقيها الطهارة في أســمى معانيها وأجمل صورها، الطهارة من الشــهوات فلا تستخذله شــهوة، ولا تطوعه غريزة شر، بل تعطيه عقيدته قوة يســتعصي بها على أي هــوى أو نزوة، فلا يضعف، ولا يســتكين لعواصف الشهوات وإغراءات العادة، وقد يضعف أمام ذلك الكثير، رغم ما أوتوا من علم، وما بلغوا من حضارة، قال تعالى:

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾

(الجاثية: ٢٣)

وتعطيه كذلك كرامة يجالد بها عبودية الإنسان للإنسان، وتسلط الطواغيت على حياته ودنياه، فلا يتخذ ربًّا إلا الله:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤)

كما تعطيه ســموًّا في التفكير، فلا يكون أسيرًا لرواسب ماضية ونِحل متحرفة، وقد كان هذا دأب الجاهلين قبل.

قال تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٧٠)

٢- النمو الحقيقي للأشياء:

أن تبعث العقيدة الإسلامية في نفوس أصحابها التصور الحقيقي لقيم الأشياء، فلا ينطلي عليها غبش الدعايات وبهرج الشبهات، فمن يعرف ربه يعرف شيمة نفسه، ويعرف قيمة إيمانه ويعلم تسخير العوالم له، ويعلم كذلك أن الناس كلهم عبيد لله، وكلهم من خيره يرزقون، فلا تزلف لأحد إذن؛ لأن الكل مخلوق، والكل محتاج إلى عطف الله ورضاه، وإذا استعان صاحب العقيدة فإنما يستعين بالله، وإذا طلب فليطلب من الله.

ويعلم كذلك أن الضر والنفع من الله، وصدق رسول الله ﷺ في تعليم ذلك لابن عباس: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَا يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ...»[٣٣].

٣- الرجاء وطمأنينة القلب:

أن تبعث هذه العقيدة في نفوس أصحابها الرجاء في الله وطمأنينة القلب، إذ يُربِّي الإيمان القلب على نفسية قائمة على الثقة بالله والرجاء فيه، فهو في كل حال يتغلب على اليأس والقنوط والجلد والثقة حتى يأتيه نصر الله وهو مطلع عليه:

---

(٣٣) أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن عباس حديث رقم ٢٥١٦. من حديث طويل، وقال: هذا حديث حسن صحيح. (المجلة)

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

(البقرة: ١٨٦)

٤- الجراءة والشجاعة في مواجهة الشدائد:

فهذه العقيدة تعطي صاحبها صفات نفسية عامرة كريمة بغير حدود من هذه الصفات: الجراءة، والشجاعة، والبسالة النادرة، الشجاعة في كل ميدان من ميادين الحياة، الشجاعة في مواجهة النفس والتغلب على ثقل الحيوانية؛ ولهذا ترى كثيرين من أصحاب العقائد ضربوا أروع الأمثلة في الاستقامة والقدوة بعد تاريخ طويل في الجهالة وحب العَرَض واتباع الشهوات، واستطاعوا أن يفرضوا الاستقامة وأن يُعلِّموا الشعوب الهداية والرجولة ونبذ الانحراف ومداواة النفوس:

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾

(الكهف: ٤٦)

٥- الإحاطة والشمول:

مما تتميز به العقيدة الإسلامية: الإحاطة والشمول، حيث تعترف بالكتب السماوية كلها، حيث يأمر الإسلام بالإيمان بكل كتاب أنزله الله على أحدٍ من رسله:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾

(البقرة: ٤، ٥)

ومن مظاهر الإحاطة والشمول: الدعوة العامة لجميع البشر، وعدم التمييز بين جنس وجنس، ولون لون، وفقير وغني، بل الكل أمام الله سواء، والدين لهؤلاء جميعًا، والرسول ﷺ أُرسل للناس جميعًا:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(سبأ: ٢٨)

ومن إحاطة الإسلام وشموله: بيان لجوانب الحياة صغيرها وكبيرها، ما صلح منها وما فسد من طعام وشراب فأحل الطيب وحرم الخبيث:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾

(المائدة: ٤)

وقد بين الإسلام أن الأعمال هي قوام المسلم، وهي ميزان بها يصعد، وبها يهوي، وبها يسود في الأرض، وبها يضيع من قدمه الطريق:

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾

(النساء: ١٢٤)

ثانيًا: النظام الاجتماعي:

الأساس الثاني للحضارة الإسلامية هو النظام الاجتماعي المتكامل الذي جاء به الإسلام، وصبغ به الحياة الإسلامية، وهو نظام رباني اختاره الله للبشرية لينظموا حياتهم عليه، ويحييهم به حياة طيبة، ويسعدهم به في الدنيا والآخرة، ولا تتداخل معه أهواء البشر الشاردة أو أنظارهم القاصرة، وإنما هو وعي إلهي رائق ينظم حياة الناس وينسقها، كما ينظم حركة العوالم ويهذبها، ويسعد حياة البشر ويهنيها، ومن أهم أسس النظام:

١- المساواة بين البشر:

يُقيِّم الإسلام المجتمعات الإسلامية على قاعدة مهمة مستقيمة هي: المساواة التامة بين البشر، ويقرر المساواة على إطلاقها فلا قيود ولا استثناء، وإنما مساواة تامَّة بين الأفراد، ومساوة تامة بين الجماعات، ومساواة تامة بين الأجناس، ومساواة كاملة بين الحاكمين والمحكومين، لا فضل لرجل على رجل، ولا لأبيض على أسود، ولا لعربي على أعجمي؛ وذلك لقوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾

(الحجرات: ١٣)

فهذه قومية عالمية ووحدة إنسانية متكاملة، تُكوِّن

جماعة دولية تُحمى فيها الامتيازات القائمة على الاختلاف في الألوان والأجناس واللغات والحدود الجغرافية، ومن المُحال أن تكون حضارة إنسانية عالمية إلا بتحقيق ذلك؛ لأنها من جانب تحافظ على فردية الفرد، ومن جانب آخر تطهرها من كل ما قد يكون فيها من الميول المتناقضة، والنظام الإسلامي بهذا يقطع الطريق على النظام الطبقي وما يصاحبه من نظام اجتماعي، وقد أحدثت هذه المبادئ ثورة اجتماعية هائلة بدلت الأوضاع الاجتماعية، فالكل أمام الله سواء، ومن هذا المنطلق سار الناس بطاقاتهم إلى المجد، لا يعترضهم جهل أو غرور أو تسلط، ويسعى الكل يعليه عمله، ويرفعه جهده، أو يوبقه كسله، ويقصره ضرره؛ ولهذا نرى أن المجتمع الإسلامي برزت فيه طاقات جبارة ولولاه بعد الله، ما كان لها في الحياة شأن أو ذكر.

٢- العدالة المطلقة:

لقد جاء الإسلام بالعدل الذي يكفل لكل فرد ولكل جماعة ولكل قوم قاعدة ثابتة للتعامل لا تميل مع الهوى ولا تتأثر بالوأد أو البُغض، ولا تتبدل مجاراة للصهر أو النسب، والغنى والفقر، والقوة والضعف:

﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾

(النساء: ٥٨)

وعــن أنس عــن النبي ﷺ قال: «لَا تَزَالُ هَـذِهِ الْأُمَّةُ بِخَيْرٍ مَــا إِذَا قَالَتْ صَدَقَــتْ، وَإِذَا حَكَمَتْ عَدَلَتْ، وَإِذَا اسْــتُرْحِمَتْ رَحِمَتْ»[٣٤] وقد ربّى الإســلام الإنســان المسلم على العدالة بحيث تكون نابعة من ذاته؛ لذا قال ﷺ: «حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[٣٥].

وقوله -عليه السلام-: «عَامِلِ النَّاسَ بِمَا تُحِبُّ أَنْ يُعَامِلُوكَ بِهِ».

ومــن العدالة في الإســلام: المســاواة أمــام القانون فلا يكون هناك قانون للأشــراف وآخر لغيرهم، أو يكون قانون للبيــض وآخر للملونين، فعندما اهتمــت قريش بأمر المرأة المخزومية التي سرقت، وقد اعتزم النبي ﷺ أن يقطع يدها لتكرار الســرقة منها؛ ولأن حد الله يجب أن يقام ولا يُحابى أحد لجاهه، فوسّــطوا أسامة بن زيد يشفع في ذلك لمكانته عند الرســول -عليه الســلام- قال لائما: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ يَا أُسَامَةُ؟!» ثم وقف خطيبًا وقال:

«مَا بَالُ قَوْمٍ يَشْــفَعُونَ فِي حَدٍّ مِــنْ حُدُودِ اللهِ، إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مَنْ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَــرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَــرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ قَطَعُــوهُ، وَايْمُ اللهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ

(٣٤) المعجم الأوسط من حديث أنس بن مالك، حديث رقم ٧٩٥. (المجلة).

(٣٥) صحيح البخاري، من حديث أنس رقم ١٣ (المجلة).

بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»[٣٦].

هـذا هو العدل في الإسـلام الذي حض اللـه وأمر به جل شأنه.

من ذلك قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ﴾

(النساء: ١٣٥)

ومن العدالة في الإسـلام العدالـة الاجتماعية التي تراعي المواهـب وتهيـئ لها الفرص بغـض النظر عـن فقرها أو غناها؛ ولذا برزت في الإسلام مواهب وقدرات وطاقات أذهلت الجميع، فالمهم في الإسـلام أن يفسـح المجـال للمواهب، ويوضع كل في مكانه الصحيح حتي إن الرسـول ﷺ اعتبر من لم يفسـح المجال لـذوي المواهب مضيعًـا لنعمة الله، وخائنًا للإنسـانية، إذ يقول -عليه أفضل الصلاة والسلام-: «وَمَنِ اسْـتَعْمَلَ رَجُلًا مِنْ عصَابَةٍ وَفِيهِـمْ مَنْ هُوَ أَرْضَى لِلَّهِ مِنْهُ، قَدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ»[٣٧].

ومـن العدالـة الاجتماعية إعانـة الضعيـف بقوله -جل شأنه-:

---

(٣٦) أورده البخاري بلفظ مقارب عن عائشة حديث رقم٦٧٨٨. (المجلة).

(٣٧) المستدرك للحاكم عن عكرمة وابن عباس حديث رقم ٧٠٢٣. (المجلة).

﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾

(الذاريات: ١٩)

﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴾

(الضحى: ٩، ١٠)

قال رسول الله ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٣٨).

٣- الحرية:

تتجلى الحرية في المجتمع الإسلامي في أجلِّ معانيها، وأسمى مقاصدها، وأروع مظاهرها، ومن هذه الحريات:

حرية الاعتقاد:

لقد قرر الإسلام حرية الاعتقاد، وجعل لكل إنسان الحق في أن يعتنق من العقائد ما يشاء، وليس لأحد أن يجبره على ترك دينه واعتناق آخر -ولو كان الإسلام- يوضح هذا قوله تعالى:

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾

(البقرة: ٢٥٦)

(٣٨) صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عمر، حديث رقم ٢٤٤٢. (المجلة).

وقوله -جل شأنه-:

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾

(النحل: ١٢٥)

أي: بـدون إكراه، ولا يخفى على كل منصف أن ما يقرره الإسـلام في هـذا المبـدأ الذي يتجلـى فيه تكريم الإنسـان واحترام إرادته ومشاعره، وترك حريته لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد، وتحميله تبعية عمل وحساب نفسه، وهذا هو أخص خصائض التحرر الإنساني.

حرية التفكير:

كما يقرر الإسـلام حرية الفكر والتفكير، ويحض الناس على التأمل والبحث واسـتجلاء الحقائق إلى ما وراء الأشياء إلـى غايتها؛ ولهذا نـرى دعوة القرآن إلـى التفكر في خلق السـماوات والأرض، وفي خلق أنفسـهم وفيمـا حولهم مما تقـع عليـه أبصارهم، أو تسـمعه آذانهم، ليصلـوا من وراء ذلك كله إلى معرفة الخالق، وليسـتطيعوا التمييز بين الحق والباطـل والهدى والضلال، والأدلة في القرآن الكريم كثيرة التي تحث على التأمل والتدبر والتفكر، ومن ذلك قوله -جل شأنه-:

﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾

(الذاريات: ٢٠، ٢١)

وقوله تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾

(سبأ: ٤٦)

حرية القول:

لقد جعل الإسلام حرية القول حقًّا لكل إنسان على أن يستعمل الإنسان حرية القول في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾

(آل عمران: ١٠٤)

كما يحتم الإسلام على المسلم أن ينطق بالحق إذا سكت الناس، ويجهر به إذا توارت الأصوات، وخفتت الألفاظ، وكُممت الأفواه، ويبين هذا قوله ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكرًا فَلْيُغَيِّرهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»(٣٩).

وقوله ﷺ: «أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ»(٤٠).

---

(٣٩) صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رقم ٤٩. (المجلة).

(٤٠) السنن الصغرى للنسائي من حديث طارق بن شهاب رقم ٤٢٠٩. (المجلة).

كما نهى الإسلام المسلم عن تحقير نفسه بأسره لرأيه وكتمه لفكره، فعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَحْقِرَنَّ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ». قالوا: يا رسول الله: وكيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: «يرى أن لله عليه فعالًا ثم لا يقول فيه، فيقول الله ـ عز وجل ـ يوم القيامة: «ما منعك أن تقول في كذا وكذا؟» فيقول: خشية الناس. فيقول: «فإياي كنت أحق أن تخشى»[٤١].

فها هى شرائع الإسلام تحض على إبداء رأيه وإظهار فكره، ولا يخشى في قول الحق لومة لائم.

وقد وضع الإسلام ضوابط للحرية حتى لا تخرج عن إطار القيم والفضائل والأخلاق وحقوق الآخرين والصالح العام، فالإنسان حر في أن يمارس حريته بشرط أن يكون سيد نفسه، فلا تستبد به آراؤه أو تستعبد شهواته، وهو حر أيضًا في أن يمارس حريته علي ألا تتعارض هذه الحرية مع الصالح العام، أي: لا تعارض حرية الفرد مع حق المجتمع كله، فالإنسان حر ولكنه في الوقت ذاته مسئول عن خير المجتمع والصالح العام.

وعلى هذا ترتكز الحرية الإسلامية على قاعدتين أساسيتين هما: شخصية: فلا يخضع الفرد لأهوائه ولا

(٤١) رواه الإمام أحمد في مسنده بنحوه عن أبي سعيد الخدري رقم: ١١٢٥٥.

يكون عبدًا لشهواته.

والقاعدة الثانية: اجتماعية: وهى تقوم على مراعاة حقوق ومصالح المجتمع.

وهكذا نجد أن الإسلام في تصوره للحرية فاق جميع المذاهب والفلسفات فلم يطلقها كالوجودية الملحدة والشيوعية، ولم يكبتها وإنما أطلقها في حدود لا تتعارض مع خير الفرد والمجتمع، وكان من ثمار هذه الحرية اعتقادًا وفكرًا وقولًا: الإنجازات العلمية الكبرى في جميع ميادين المعرفة التي تحققت على أيدي المسلمين منذ بزوغ فجر الإسلام.

٤- الأخوة:

أن يقوم المجتمع الإسلامي على أساس متين من الأخوة الإنسانية المتمثلة في قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

(النساء:١)

وكذلك من الأخوة الإيمانية المتمثلة في قوله ـ جل شأنه ـ:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

(الحجرات:١٠)

ولقد أقام الإسلام الأخوة على أساس التعاون والالتفاف حول راية القرآن:

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾

(المائدة: ٢)

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾

(الأنفال:٤٦)

وقال تعالى:

﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾

(النساء:٥٩)

٥- الأخلاق والفضائل:

إن الأخلاق في التصور الإسلامى هي أصل الحياة الإسلامية وشعبها التي تكوّن صرح المجتمع الإسلامي يقول ـ جل شأنه ـ:

﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾

(الأحزاب:٢١)

وقال ـ جل شأنه ـ :

﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران:١٥٩)

ويقــول رســول اللــه ﷺ: «إِنَّ مِــنْ خِيَارِكُــمْ أَحْسَــنَكُمْ أَخْلَاقًا».(٤٢)

وقد جعل حســن الخلق أكثر ممــا يدخل الجنة، فعن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: سُــئِلَ رَسُــولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَــلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّــاسَ الجَنَّةَ، فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ».(٤٣)

وحَسَــن الخلــق يكون من أحــب الناس إلى رســول الله ﷺ وأكثرهــم قربًا منه يوم القيامة، فعن جابر ـ رضى الله عنــه ـ قَالَ: «إِنَّ مِــنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًــا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِــنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُــمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ»، قَالُوا: يَا رَسُــولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَــدِّقُونَ فَمَا المُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: «المُتَكَبِّرُونَ».(٤٤)

وهكذا نجد أن الحضارة الإســلامية وصلت إلى ما وصلت إليه من إعجاز فاق جميع الحضارات؛ لأنها قامت على أسس متينة إذ نظر الإسلام إلى الإنسان نظرتين:

---

(٤٢) صحيح البخاري رقم : ٣٥٥٩ من حديث عبدالله بن عمرو.

(٤٣) رواه البخاري في الأدب المفرد، بنحوه عن أبي هريرة برقم ٢٨٩، سنن الترمذي رقم : ٢٠٠٤ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤٤) سنن الترمذي عن جابر بن عبدالله رقم : ٢٠١٨ ، مسند الإمام أحمد ج٤ ـ ص ١٠٤ (بلفظ مقارب).

نظــرة تكريم: أعطاه فيها كل ما حفظ به كرامته، حفظه مــن كل ظلــم وبغــي وعنــت، وتولــى رزقه وعطــاء توجيه وإرشاده، وأطلق حريته واحترم إرادته وأجاب دعوته.

نظــرة تقييم: إن نظر إليه بمعيــار خلقه ونفعه وعطائه وإيمانه.

أمــا المجتمعــات فقــد نظر إليهــا بمنظار مــا فيها: من قيم، من مســاواة وعدالة، وحرية، وأخوة، واتحاد، وتعاون، وفضائــل، فإذا كملت هذه الأوصاف ووجــدت هذه النماذج كان الإنسان متحضرًا وكان المجتمع كذلك، وإذا فقدت كان المجتمــع غير متحضر، وكان الإنســان فيــه غير حضاري، وإن رفل في النعيم ووصل إلى الفضاء؛ لأن الإســلام يبحث عــن حضارة الإنســان ورقيه، لا عــن زخرفة البنــاء وعلوه، يبحث أولًا ســعادة المُكرَم لا زخرفة المُســخّر؛ لأنه منطقي في نظرته، واقعي في حكمه[٤٥].

(٤٥) مــن مقال للدكتورة «سهيلة العابدين» منشــور بمجلة المنار، العدد ٨٢ جمادى الأولى ١٤٢٥هـ.

الفهرس

الشيخ الدكتور/ محمود إمبابي ٣

الفصل الأول

النبي الخاتم ﷺ وتأسيس الحضارة الإسلامية ٧

المبحث الأول: نبذة عن حياة المصطفى ﷺ ٨

المبحث الثاني: من أخلاقه ﷺ ١٥

الفصل الثاني

أسس الحضارة الإسلامية ٤٥

ما هي الحضارة الحقيقية؟ ٤٧

السمو على الأمور المادية: ٤٩

أولاً: العقيدة: ٥٤

ثانيًا: النظام الاجتماعي: ٦٠

حرية الاعتقاد: ٦٤

حرية التفكير: ٦٥